من ملامح الأعجاز في القصص القرآني

د. غصّاب نهار مطر الحَوَري (★)

المقدمة

القصص القرآنية وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، ومظهر من مظاهر بلاغته وبيانه ، فقد قدّم نماذج من التاريخ الماضي والحاضر والمستقبل ، يعجز أي قاص بشري أن يقدّم مثلها .

إنّ القصة – بشكل عام – تحظى بمكانة متميزة في الأدب ، وتعدّ من الفنون الأدبية ، ويبرز دورها وأهميتها في غرس القيم الأخلاقية والصفات الحميدة في النفوس ، والمتمثلة في قيم الاحترام والمحبة والتعاون ، والإخفاء وغيرها من قيم الأخلاق المختلفة .

ولقد اهتم الفلاسفة والمربون منذ أقدم العصور بالقصة التي يجب تقديمها إلى الفرد بقصد تربيته وتهذيبه، نظراً لأنها هي الوعاء المناسب الذي يمكن من خلاله تقديم الأفكار التي ترغب في إيصالها للمتلقين ، والقيم المراد غرسها في نفوسهم ، لذلك برز اهتمام القدماء بالقصص ، وتبيّنوا قيمها النفسية والتربوية ، فكانت الأمهات تحكي للأطفال قصص الأمجاد ، وبطولات الفرسان في الحروب والمعارك ، وقد أولى (أفلاطون) أهمية كبيرة للقصة وجعل لها شروطاً تصبح بموجبها وسيلة تربوية جيدة لتربية النشء .

★) أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعات السعودية

وقد اهتم بدراسة القصة القرآنية عدد من الباحثين ، ويعدّ (سيد قطب) أوّل من ركّز على مجال القصة في العصر الحديث ، بوصفها عنصراً مميزاً في بلاغة القرآن الكريم وفصاحته ، وقديماً قام العديد بجمع القصص القرآني وشرحه.

وفي هذا البحث سنقوم بإبراز بعض ملامح الإعجاز في القصص القرآني ، وذلك من خلال العناوين الآتية :

أولاً – مفهوم القصة القرآنية .

ثانياً – أهمية القصة القرآنية .

ثالثاً – أنواع القصة القرآنية .

رابعاً – السمات الفنية والبلاغية للقصة القرآنية .

وفي الختام لا أدّعي أنني قدّمت الكلمة الفصل في هذا المجال ، و إنّما هو الاجتهاد فإن أصبت فمن الله ، و إن أخطأت فمن نفسي .

وأسأل الله عز وجل أن يكون هذا في ميزان حسناتي ، وأن ينال القبول والرضا .

والله ولي التوفيق

أولاً – مفهوم القصة القرآنية :

أ –المعنى اللغوي للقصة : القصة مشتقة من القص [1] ، وهو تتبع الأثر ، قال تعالى : ﴿  ﴿ (القصص: ١١): أي تتبعي آثاره على ما انتهى إليه أمره . وقوله تعالى ﴿ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﴿(الكهف: ٦٤) [3] ، ومن هذا قصّ الأثر : أي النظر فيه ، وأقتفى آثاره وشواهده

[1] انظر : لسان العرب : مادة قصص

، يقال : قصصت آثره واقتصصته وتقصصته ، وخرجت في أثر فلان قصصاً ، وقصّ عليه الرؤيا ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ(يوسف: ٥)[4]

والقص للأثر أشبه بما يعرف في عصرنا بتصوير البصمات ، أو رفع الآثار وتصويرها ليستدل منها على ما وراءها من أحداث مضت ، وليمسك على إمساكه منها [5] .

ب – والقصة في القرآن إنّما تتبع أحداثاً ماضية وتعرض منها ما يفيد عرضه في مجال الدعوة إلى التوحيد الخالص والخلق الفاضل . ومن هنا كانت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن قصصاً مما يدخل في المعنى العام لكلمة خبر أو نبأ ، وقد استعمل القرآن الكريم الخبر أو نبأ بمعنى التحدث عن الماضي ، وإن كان قد فرّق بينهما في المجال الذي استعملا فيه جرياً على ما قام عليه نظمه من دقة وإحكام و إعجاز ، فاستعمل النبأ والأنباء في الإخبار عن الأحداث البعيدة زماناً أو مكاناً ، على حين أنّه استعمل الخبر والإخبار في الكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع ، أو التي لا تزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان.

ففي النبأ والأنباء يقول الله تعالى في أصحاب الكهف : ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ (الكهف: ١٣)[1] ، ويقول – سبحانه – في شأن الأمم الماضية وما وقع فيها من مثلات ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ ﭽ ﭼ(هود: ١٠٠)[2]

---

[4] سورة يوسف : آية 5

(5) القصص القرآني ، مفهومه ومنطوقه : ص45

(1) سورة الكهف : آية 13

(2) سورة هود : آية 100

ويقول – سبحانه – فيما يقصّ على نبيه من قصص الأولين : ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ נּ סּ ﭂ ףּ פּ ﭅ צּ קּ רּ שּ תּ וֹ בֿ כֿ פֿ ﭏ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮾ ﮿ ﯀ ﯁ ﯂ ﯃ ﯄ ﯅ ﯆ ﯇ ﯈ ﯉ ﯊ ﯋ ﯌ ﯍ ﯎ ﯏ ﯐ ﯑ ﯒



إنّ الإنسان هو محور القرآن الكريم الأساسي ، من أجله جاء ، ولإقامة نموذجه الذي يرتضيه الله تنزّل ، وعلى امتداد آياته وسوره كان حضوره القوي الجلي ، وكانت حركته وضجيجه وأنفاسه الحارة الممتدة من لحظة خلقه الأولى إلى آماد لا يعلمها إلاّ الله – جلّت قدرته .

ولقد تعدّدت صور تناول الشخصيات القرآنية عند الباحثين لكنها ربطت بالغالب بالقصة القرآنية (2) .

فالقصص القرآني لا يقل الحيّز الذي شغله من كتاب الله تعالى عن الربع إن لم يزد قليلاً ، فإذا كان القرآن ثلاثين جزءاً فإنّ القصص يبلغ قرابة الثمانية أجزاء من هذا الكتاب الخالد ، ولا عجب من ذلك ، لأنّ القصة القرآنية لم تأت لتقرر هدفاً واحداً ، بل إنّ هذا القصص كانت له أهدافه الكثيرة ، وغاياته المتعددة ، وعلى سبيل الإجمال يهدف القصص القرآني إلى تربية الإنسان تربية تضمن له خير المسالك ليتبّوأ أفضل المدن والممالك ، وتحول بينه وبين المنزلقات والمهالك (3).

وإذا أردنا أن نفصّل ، فإننا نجد أنّ أهمية القصص القرآني تبرز في الآتي :

1 –تعميق العقيدة في النفوس ، ونفي الخرافات والأفكار القديمة ، إذ يبدو بكل وضوح في القصص القرآني أنّه يتجه في جملته إلى إرسال دعائم الإيمان بالله وملائكته وكتبه و رسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وذلك بذكر أقوال المرسلين وأفعالهم ، وتصوير ما هم عليه من كمال في الدين ، وسمو في الخلق ، ونبل في السلوك . وفي مجال الرسالة ركزّت القصة القرآنية على الصفات الخيرة للأنبياء ،

(2) الشخصيات القرآنية : ص 16 – 32

(3) القصص القرآني ، إيحاؤه ونفحاته : ص 9 – 10

ليكون للناس فيهم أسوة ، وبهم قدوة ، فهم وإن كانوا بشراً إلاّ أنهم أكرموا بالوحي والرسالة ، قوله تعالى : 

ولوط ، وداود وسليمان ، وأيوب و إسماعيل ، و إدريس ، وذي النون ، وزكريا ويحيى ومريم ، وبعد سرد هذه القصص . يأتي قوله تعالى : 

10 -وفي قصص القرآن تقويم للأخلاق ، وتزكية للنفوس ، وتهذيب للطباع من خلال ما يبثه على مسامع الناس من المواعظ والصبر والمواقف الدالة بمضمونها على نوازع الخير والشر في الإنسان ، والتنبيه على سبل الخير ، وسبل السلامة من دوافع الشر .

11 -تفصيل أسباب السعادة الروحية ، وكذلك أسباب الرقي المادي حتى تتم السعادة للمؤمنين بهذا القصص العاملين بتوجيهاته وإرشاداته .

12 -في هذا القصص كثير من الحقائق العلمية المتعلقة بالكون والإنسان ، والحياة والأحياء في السماوات والأرض ، والتي يبرزها التطور العلمي ، وتداول الأيام وضوحاً وظهوراً .

13 -ما في القصة من رونق الأسلوب ، وبديع النظم ، وجمال الصورة ، مما ترقص له قلوب الأدباء ، وعدا ما فيها كذلك من المواقف والتحاليل النفسية ، والاستنتاجات الكامنة وراء الأحداث التي يجد فيها علماء النفس بغيتهم .

14 -النهوض بالهمم : فهي تستعيد ذكريات الماضي ، وأمجاد الإسلام ، وبطولاته ، ومواقف الصحابة والتابعين الكرام .

15 -العبرة والعظة لمن وهبه الله عقلاً يتفكّر ويتدّبر چئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ چ

(يوسف: ١١١) [3]

والخلاصة أنّ مقاصد القصص القرآني وغاياته هي الدعوى إلى الحق ، والهداية إلى مواقع الخير ، و إقامة وجه الإنسانية على مسالك الحق والخير ، والميل بها عن مسارب الضلال والبوار ، فليس في القصص القرآني إلاّ حرب على العواطف المريضة ، وتلك الميول المنحرفة ، يلقاها في حزم وحسم ، وينزل أصحابها منازل البوار والهوان ، يلقاها

(3) سورة يوسف : آية 111

قيه ، ذلك لأنّه كما وصفه الله سبحانه بقوله : ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ (آل عمران: ٦٢) [4] . وما كان للحق أن يلبس الباطل أو يسلك مسالكه .

ثالثا – أنواع القصة القرآنية :

إذا أمعنا النظر في قصص القرآن الكريم وجدنا أنّ القصة يمكن حصرها في الأنواع الآتية :

1 القصة القصيرة الموحية : والتي تعبّر عن موقف محدد في زمان ومكان محددين ، وتتناولها بضع آيات ، لتؤدي غرضاً وعظيّاً محدّداً وتقدّم نمطاً إرشادياً تربوياً ، وذلك كقصة صاحب الجنتين في سورة الكهف ، والتي جاءت في الآيات الكريمة : 

ومن هذا النوع أيضاً قصة قارون والتي حملتها الآيات من ست وسبعين إلى اثنتين وثمانين من سورة القصص . وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم ، والتي وردت في الآيات من سبع عشرة إلى ثلاث وثلاثين . وغيرها من القصص المبثوثة في كتاب الله العظيم.

2 القصة الطويلة المتكاملة :

وهذا اللون تحتويه سورة واحدة من بدايتها إلى نهايتها ، فلم توزّع أحداث القصة ، بل جاءت متتابعة في إحكام ، تتابع الزمان والمكان فيها عبر آياته الكريمة من البدء إلى النهاية ، ولم يوجد في القرآن ما يمثّل هذا النوع سوى سورة يوسف عليه السلام ، والتي تناولت قصة يوسف – عليه السلام – من طفولته إلى كهولته . وفيها نجد وثبات سريعة كيف عالجت قصة يوسف المواقف الحياتية ليوسف عليه السلام ، وفي ثناياها تنتشر القيم الأخلاقية التربوية وأبرزها الاعتصام بحبل الله في الأزمات ، والإيمان به – سبحانه وتعالى – وكيف يهيئ – الله عز وجل – لعباده المخلصين سبل الفوز والنجاة إلى غير ذلك من القيم ، وأبرزها وجوب شكر الله على فضله كما فعل يوسف – عليه السلام – عندما جمع الله شمله بباقي أهله حيث خرّ ساجداً لله مناجياً إياه :



ومن الإعجاز في هذه القصة أنّها كانت قائمة في مجملها على أسلوب الحذف في تسلسل أحداثها من بدايتها إلى نهايتها، لكنّ المتدبّر فيها يستطيع أن يفهمها ويربط أحداثها ، و أن يأتي بالمحذوف المناسب في كلّ موضع ، فبلاغتها في إيجازها .

لأن الإيجاز دلالة من دلائل الإعجاز القرآني : ((ومن أراد أن يعرف جوامع الكلم ويتنبه على فضل الإعجاز والاختصار ويحيط ببلاغة الإيماء ، ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبر القرآن ، وليتأمل علّوه على سائر الكلام)) (2)

3 القصة الطويلة المجزّأة إلى حلقات :

السلام من لحظة خلقه واستقراره في الجنة ثم هبوطه للأرض ، وما حدث بعد ذلك من إعمار الأرض بذريته ، وقد تناول القرآن هذه القصة في السور الآتية : البقرة ، آل عمران ، المائدة ، الأعراف ، الإسراء ، الكهف ، مريم ، طه ، يس...

وكذلك قصة موسى عليه السلام – في بني إسرائيل ، ورسوله إليهم وقد جاءت حلقات قصة موسى منذ لحظات ولادته ، وأيام طفولته ، وحياته في قصر فرعون إلى أنّ فرّ عبر سيناء إلى أرض مدين ، ثم العودة إلى مصر حيث أوحي إليه وهو في الطريق إليها في طور سيناء ، وما حدث بينه وبين فرعون وقومه ، وكيف خرج بعد ذلك ببني إسرائيل فراراً من فرعون وجنوده.

وقد جاءت تلك القصة موزعة في ستة وثلاثين موضعاً في القرآن على وجه التقريب ، ووردت إشارات إليه – عليه السلام – ما يقرب من مائة وسبع وثلاثين مرّة .

ومن القصص الطويلة المجزّأة أيضاً قصة إبراهيم عليه السلام حيث جاءت موزعة على

(2) الإعجاز والإيجاز : ص 15

اثنتي عشرة سورة أبرزها ما جاء في سورة البقرة ، والأنعام ، وهود ، و إبراهيم ، والحجر ، ومريم ، والأنبياء ، والحج ، والعنكبوت ، والصافات،...

حيث تناول القرآن الكريم ما حدث لإبراهيم في صباه حينما أنكر عبادة قومه للأصنام ، وكيف ترسخت كراهيته لتلك الأوثان في قلبه ، ووصفت لنا حيرته في البحث عن حقيقة الإله المعبود ، ثم هداية الله ، وتيقنه بأن المعبود بحق هو خالق هذا الكون وما فيه ، وتبع ذلك ما قام به من هدم الأصنام ، وما حدث بعد ذلك من ابتلاء الله له بأمره إياه بذبح ولده و وحيده إسماعيل – عليه السلام ... وغير ذلك من الأحداث.

ومثل ذلك في قصص معظم الأنبياء السابقين مع أممهم كقصة نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، وكذلك يونس ولوط وغيرهم من أنبياء الله عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة و أزكى السلام [1] .

رابعاً – السمات الفنية والبلاغية للقصة القرآنية :

بادئ ذي بدء نقرّر انّه لا مفاضلة ولا معادلة ولا موازنة بين قصص القرآن الكريم وغيره بأي حال وعلى أي اتجاه ، فإذا قلنا – أو قال غيرنا – إنّ قصص القرآن يتميّز عن قصص الناس بكذا وكذا فإنه من باب ذكر وجوه الإعجاز للعظة والاعتبار بغض النظر عن المقارنة والمفاضلة والموازنة وما إلى ذلك ، فأين الثرى من الثريا ؟

وجدير بالذكر أن نتعرف على أبرز عناصر الجمال الفني في القصص القرآني ، وقد أوضحنا آنفاً أنّ القصة القرآنية قائمة على أغراض دينية بحتة والواقع أنّ هذه الأغراض تتحقق في ظل الجمال الفني الذي يسبر أغوار النفس الإنسانية ، ويودع في الوجدان أعمق الآثار .

---

(1) البلاغة القرآنية : ص 270 – 271

ويمكن تلخيص السمات الفنية والبلاغية للقصة القرآنية في الآتي :

1 -واقعية الأحداث : فالقصص القرآني ليس خيالياً متوهماً ، بل هو واقعي في أحداثه ، واقعي في صوره ، يحقق من وراء ذلك أهدافاً واقعية ، وواقعية القصص مستمدة من منهج القرآن في التعامل مع جميع الخلق ، ومع سائر النماذج البشرية ، فالقرآن الكريم لا يسوق قصة إلاّ ليواجه حاله ، ولا يقدّر حقيقة إلاّ ليواجه بها باطلاً ، إنّه يتحرك حركة واقعية حيّة في وسط واقعي حيّ ، ولا يقصّ قصة لمجرد الإمتاع والتسلية بل لتحقيق هدف ديني أخلاقي ، أو إرساء قيمة اجتماعية ، أو تدعيم قيم سلوكية تربوية ، وكل قصص القرآن تتفق في الغاية التي يهدف القرآن إليها من ورائها .

2 -الغاية في قصص القرآن الكريم تكون معلنة غير مضمرة تأتي من خلال الألفاظ التي تورد وقائعها حيناً ، وقبل هذه الوقائع حيناً وبعدها حيناً آخر .

3 -لم تلتزم القصة القرآنية نسقاً واحداً من حيث الطول والقصر، والإجمال والتفصيل ، فهناك القصة المفصلّة كما في قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف .

وهناك القصة المجملة كما في قصة نوح في سورة الأعراف ، وقصة موسى في سورة هود ، فلقد أجملت كل من السورتين ما فصلته الأخرى . كذلك سورة يونس فصلت بعض التفصيل في قصة موسى – عليه السلام – وأجملت في قصة نوح – عليه السلام – [1] إنّ قصص القرآن الكريم قد جاء وفق الحياة التي يحياها الناس ، ولم يخرج على مألوفها ، ولو جاء على غير هذا لما كان للناس التفات إليه ، ولا انتفاع به فهو وإن يكن سماوي المطلع فهو بشري الصورة ، إنساني المنازع والعواطف والناس .

(2) القصص القرآني ، إيحاؤه ونفحاته : ص 22

يأخذ من الحياة للحياة ، يقرأه الناس ويسمعونه ، وكأنهم يقرأون أطواء أنفسهم ، ويسمعونه همس ضمائرهم ، ووسوسة خواطرهم ، ومن هنا فهم يعيشون فيه ، ويحيون معه ، وينتفعون به انتفاع الأرض ، يصيبها الغيث فيقع منها مواقع مختلفة بين وديان وسهول ، وجبال وقيعان وأحراش [(2)] .

4 -إنّ كلّ قصة قرآنية مجملة أم مفصلّة ، قصيرة أم غير قصيرة جاءت تفي بالغرض الذي سيقت من أجله ، فليس قصر القصة يشعر القارئ بشيء من النقص ، بل ربما يذكر في القصة القصيرة ما لا يذكر في غيرها ، ولعلّ خير مثال على ذلك ما ذكرته قصة نوح في سورة العنكبوت .

5 -إنّ بعض القصص القرآني لم يذكر إلاّ مرّة واحدة ، وبعضه الآخر ذكر أكثر من مرّة ولعلنا ندرك السبب في ذلك، فالقصة التي ذكرت أثر من مرّة في كتاب الله كانت ذات صلّة وثيقة بقضية الدعوة والدعاة إلى الله تعالى .

أمّا التي ذكرت مرّة واحدة فمع سمو الحقائق التي قررتها ، وما فيها من مناهج تربوية وغايات رائدة إلاّ أنّها لم تكن تتحدّث عن مجال الدعوة ، إنّما كان حديثها في مجلات اجتماعية ، وجوانب إنسانية ، وقيم خلقية تمد الباحثين والعلماء بقبس لا يخبو على مدى الدهر وذلك مثل قصة يوسف عليه السلام ، وقصة موسى مع العبد الصالح التي جاءت في سورة المائدة ، ومع قومه في ذبح البقرة [(3)].

6 -إنّ القصص الذي ذكر أكثر من مرّة في كتاب الله لا نجد منه قصة واحدة ذكرت في سورتين اثنتين بطريق واحدة ، بل نجد كل قصة جاء فيها ما لم يجيء في الأخرى

(2) قصص القرآن : ص 9

(3) القصص القرآني ، إيحاؤه ونفحاته : ص 23

، ففي كلّ قصة من المشاهد والجزئيات والأحداث ما تفردت به السورة التي ذكرت فيها هذه القصة .

7 -من إعجاز القرآن الكريم أنّه يتخيّر النسق القرآني المناسب للقصة ، فهو يتخيّر الأسلوب المناسب للفكرة ، وينوع في نظام الفواصل والقوافي بتنوع الموضوع الذي يعرضه ، ويتبع ذلك طول الفاصلة وقصرها وطريقة بنائها اللفظي من حيث السهولة والخشونة وتخيّر الحرف الأخير الذي تختم به . وأضرب مثلا على ذلك بسورة مريم، فالسورة تبدأ بقصة زكريا ويحيى ، وتليها قصة مريم وعيسى ، وتسير الفاصلة والقافية هكذا 

ﭽ ﯾ ﯿ ﯽ ﯾ ﯿ ﯽ ﯾ ﯿ

يكون للشخصية تأثير مباشر على السامع ، فالأشخاص في القصص القرآني لا يقصدون لذواتهم ، ولكنهم يُذكرون كنماذج بشرية في مجال الحياة الخيّرة أو الشريرة . وكذلك الشأن في الأحداث التي يعرضها القرآن في قصصه إنّها ليست إلا محاك اختبار تظهر فيها معادن الرجال ، وتختبر بها مواطن القوّة والضعف فيهم ومنازع الإحسان والسوء منهم .

10 -يتميز قصص القرآن الكريم بتعبيره الغني العجيب عن المواقف المختلفة بأساليب متنوعة ، تنسجم الانسجام كله مع تلك المواقف دون أن يؤثر ذلك على الإطار العام للقصة والنسق الفريد للنظم ، فأسلوب الرسل في التخاطب ليس كأسلوب عامة الناس ، وأسلوب الملوك ليس كأسلوب السوقة ، وأسلوب الرجال ليس كأسلوب النساء ، وأسلوب المتكلم في حالة الرضا ليس كأسلوبه في حالة الغضب وغير ذلك من الأساليب القصصية التي تنتقل بك من مشهد إلى مشهد ، أو من حادثة إلى أخرى.

11 -يتميز قصص القرآن الكريم بتعبيره الغني العجيب عن المواقف المختلفة بأساليب متنوعة ، تنسجم الانسجام كله مع تلك المواقف دون أن يؤثر ذلك على الإطار العام للقصة والنسق الفريد للنظم ، فأسلوب الرسل في التخاطب ليس كأسلوب عامة الناس ، وأسلوب الملوك ليس كأسلوب السوقة ، وأسلوب الرجال ليس كأسلوب النساء ، وأسلوب المتكلم في حالة الرضا ليس كأسلوبه في حالة الغضب وغير ذلك من الأساليب القصصية التي تنتقل بك من مشهد إلى مشهد ، أو من

حادثة إلى أخرى. ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾

هذا هو موجز القصة ، ثم توالت بعد ذلك تفاصيلها خلال الآيات الآتية لتلك الآية المذكورة وحتى الآية الثانية والعشرين من السورة الكريمة .

ب - العرض ممهّداً له بذكر المغزى والهدف من القصة في عرض القصة نفسها ، كما جاء في قصة موسى عليه السلام – في أوّل سورة القصص حيث بدأ التمهيد لقصة موسى عليه السلام 

جانب آخر كما حدث في قصة بلقيس ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام ، والتي أفصحت عنها آيات سورة النمل، فأسرار القصة لم يكشف عنها مرّة واحدة بل تراوحت بين الكشف والإخفاء حسب المواقف والأحداث بالنسبة للنظارة وأبطال القصة.

16 -الإيجاز البليغ : إنّ القصص القرآني من كلام الله – تبارك وتعالى – المعجز ، والذي لا يحتاج إلى غير القليل من الكلام ، ولما كان القرآن الكريم هو المثل الأعلى في البلاغة والفصاحة فقد جاء القصص القرآني نموذجاً من نماذج الإيجاز البليغ الذي تأتي الجمل من خلاله موحية سريعة موفية ، مليئة بالوقائع ، فياضة بالحركة مفهومه و إن كان فيها حذف كثير .

17 -إتقان الحبكة القصصية : فالقصة القرآنية يتصاعد فيها المدّ الدرامي بالتدرج حتى يصل إلى قمة الصراع ، ثم يتجه الأمر نحو الحلّ تدريجياً بصورة قوية التماسك ، لا يبدو فيها أثر للتفكك ، حتى ولو جاءت في حلقات كثيرة في القرآن الكريم.

18 -الدقة في العرض : حيث تعرض القصة القرآنية الأحداث بالقدر الكافي لتحقيق الهدف منها، دون زيادة أو نقصان ، فإذا ما تطلّب الأمر واقتضى الحال إعادة عرض ، جاء ذلك في سورة أخرى بحيث يتسق ما يعرض من القصة القرآنية في أي سورة من السور مع نسق السور واتجاهاتها . وما تهدف إليه ، وبصورة تزيد الأمر إيضاحاً ، والقارئ إقناعاً مع بعض إضافات جديدة .

19 -الفجوات بين المشهد والمشهد :

20 -من الخصائص الفنية في عرض القصة القرآنية تلك الفجوات بين المشهد والمشهد ، الذي يتركها تقسيم المشاهد ، وقصّ المناظر ، بحيث تترك بين كلّ مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال ، ويستتبع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللائق(1).

21 -وهذه طريقة متبعة في جميع القصص القرآني على وجه التقريب ، ويمكن ان نلحظه في قصة يوسف عليه السلام على سبيل المثال ، فقد قسّمت القصة ثمانية وعشرين مشهداً .(1)

22 -و أخيراً وليس آخراً يمكن القول : إنّ القصص القرآني مستمر لا ينتهي تأثيره بمجرد الفراغ منه ، فهو صالح لكل زمان ومكان .

چ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ چ(الأعراف: ١٧٦)[2] . لذلك يمكن أخذ العبرة والدروس منه الآن ومستقبلاً .

الخاتمة

إنّ قصص القرآن الكريم هي قصص دينية يكتسب المرء منها القيم والصفات الحميدة ، وقد اشتمل هذا الكتاب العظيم أفضل القصص التي تعمل على تنمية الخيال ، والقدوة الحسنة ، والتوجيه نحو كمال القيم الأخلاقية والسلوكية، وتنمية الفضيلة ، وأخذ العبرة

(1) التصوير الفني في القرآن : ص 154

(1) روائع الإعجاز في القصص القرآني : ص 88

(2) سورة الأعراف : آية 176

والدروس منها ومعظمها يدور حول الرسل ، وجهادهم في دعوة قومهم ، وتكذيب قومهم لهم ، ثم بيان عاقبة هؤلاء المكذّبين .

والقصص القرآني له خصوصيته ، فهو قصص حق ، وأحسن القصص ، ومستمر لا ينتهي تأثيره ، وهو دلالة واضحة على بلاغة القرآن وإعجازه .

ويبقى البناء القصصي في القرآني في نهاية الأمر يخدم الدعوة والدين ، ويجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني ، فيخاطب الحاسة الدينية بلغة الجمال الفنية ، ويخاطب الجمال الفني بالعاطفة الدينية ، ويقيم القصة القرآنية وفقاً لتنسيق فني بين الديني والجمالي ، مع تنوع في طريقة العرض والمفاجأة ، وعدم إغفال لتصوير العواطف والانفعالات ، فتكتمل بذلك بلاغة القص القرآني في صورة فريدة لا تسبقها صورة ولا تلحقها أخرى .

وأخيرا يجب التنويه إلى أنّ العناوين المختارة في البحث وشواهدها جئت بها للتدليل على بعض ملامح الإعجاز في القصص القرآني ، وليست عملية إحصائية شاملة لجميع شواهد القصص في القرآن الكريم .